14 اكتوبر
10 30 ديسمبر 1995

عندما يعبر الشعر عن الوجدان الشعبي

علوي عبدالله طاهر

«المجد مجدك، انت السيف والقلم
«والنصر نصرك انت
الخير والكرم»
«قالوا : مدحت ، وكم في المدح من عجب
ترجوبه الخير والاحسان
تغتنم»
«تبني لنفسك آمالاً تهدهدها
اوفي الهواء قصوراً ثم تنحطم»
«فقلت : كلا ولكن في فمي ويدي
صوت الحياة تهادى واستوى الحلم»

بهذه الابيات استهل الشاعر الدكتور احمد علي الهمداني ملحمته الشعرية الرائعة التي القاها في الحفل الجماهيري الذي اقيم في قاعة فلسطين لمناسبة اعياد الثورة اليمنية ، يوم السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٩٥م ، والتي اعادت نشرها صحيفة ١٤اكتوبر في عددها الصادر في ٣٠نوفمبر ١٩٩٥م . تلك القصيدة التي حازت على اعجاب كل من سمعها وقراها والتي لاتزال إصداؤها تدوي في الوسط الثقافي ، فاختلفت فيها الآراء بين مادح وقادح ، وناقد وحاقد فقد احتلت حيزاً من مناقشات المثقفين ، وهو مالم تحتله اية قصيدة اخرى في اليمن المعاصر ، ربما لانها تحمل في طياتها مشاعر صادقة تعبر عن وجدان معظم الناس في عدن ، ان لم يكن في سائر مناطق اليمن ، او لانها قد جسدت مايجيش في صدور الناس الطيبين من حب وتقدير للقائد الوحدوي الرمز الاخ الفريق علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية ، وصورت تصويراً رائعاً مشاعر اهالي عدن بالذات تجاه قائد المسيرة الوحدوية المظفرة ، في وقت كانت بقاياقوي الردة والانفصال تعمل جاهدة على تشويه الحقائق وتزييف الوعي ، في محاولة منها لقتل معنويات الناس الطيبين ، احباط المخلصين منهم ، لينصرفوا عن البناء والانتاج ، ويغوصوا في دوامة القلق الناشيء عن زفير دعايات بقايا تلك القوى الحاقدة ، لغرض تعكير اجواء الحب الطاهر بروائح الحقد النتنة ، فكانت تلك القصيدة العصماء بمثابة لسان حال معظم جماهير عدن ، الذين ظل بعضهم طوال سنوات الحكم الشمولي يردد شعارات الزيف والنفاق ، وهو في قرارة نفسه لم يكن راضياً عمايردده او مقتنعاً بمايقوله ، مما جعل بعض الناس يكبتون مشاعرهم ، فلا يتنفسون الابرئة الحزب الحاكم ،

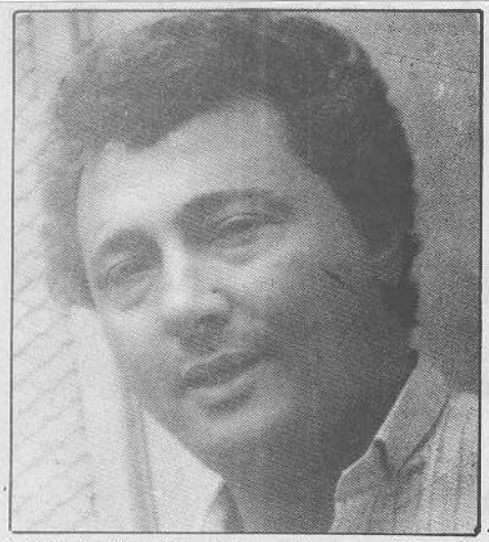

اويعطلون رئاتهم حتى لايتهموا باستنشاق الهواء النقي .

وكم كانت دهشة الناس عظيمة حين يرون للمرة الثانية شاباً وسيماً يقف شامخاً امام ملأ من الناس يتغنى بالوحدة ، وبقائدها الرمز ، في تحد سافر لاعدائهما الذين لاموه لانه تغنى بهما في قصيدة سابقة ، ويفاجئهم بقوله :«علي انت اماني الناس في بلدي
يزهوبك المجد والتاريخ يبتسم»

الشعب حولك موفور الهوى ابداً
يجدد العهد في مسراك منذ غم»

وكاني بالشاعر في هذه اللحظة قد غاص في اعماق النفوس وقاس نبضات القلوب ، وجس مشاعر الافئدة المبتهجة بالنصر العظيم ، وهي تهتف :
«ياصانع الفجر والتاريخ في بلد
قد سرت فيه بحبل الله تعتصم
«فجرت فينا معين الخير منتضياً
سيف الحقيقة لايبلى وينثلم

«قد عشت سمحاً عظيم الرأي منفتحاً
ماكنت يوماً على الآراء تنتقم
«كم صغت للحق والاسلام ملحمةً
من البطولة فيها الظلم منهدم»

ولست مبالغاً ان قلت ان هذه الابيات قد نقلت فعلاً مايجيش في صدور الناس الطيبين ، وما يعتمل فيها من حب صادق لقائد المسيرة الوحدوية الظافرة ، صانع الفجر والتاريخ في يمن الثاني والعشرين من مايو ، مفجر معين الخير في مجتمع الايمان ، ذي القلب الكبير ، والعقلية المتفتحة على كل فكر ، والذي لاينتقم من خصومة او مخالفيه في الرأي ، كما كان يفعل الاخوة الاعداء في ظل الحكم الشمولي .

وقد وفق الشاعر ايما توفيق حين قال :
«أصوغ من وحي شعري فيك ملحمة
تبقى على الدهر لايغتالها السأم»

ذلك ان ملحمة الهمداني هذه ، لن يمل الناس قراءتها ؛ ولما فيها من تعابير فنية جميلة ، وعاطفة صادقة ، واحاسيس مرهفة ، وصور خيالية بديعة ، رسمها الشاعر بالفاظ مألوفه وعبارات متماسكة ، وجمل قصيرة سهلة وصاغ معانيها بعناية فائقة ، جعلها تعبر تعبيراً صادقاً لاعن احاسيس الشاعر فحسب ، بل عما يجيش في الناس من مشاعر ، وحدوية وحب صادق لصانع الوحدة وحامي حماها ، القائد الرمز الفريق علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية كان الله في عونه ، واطال في عمره .

والدكتور الهمداني بهذه القصيدة الملحمية يعيد للشعر العمودي اعتباره ، ويؤكد على اصالته وديمومته ، واستمرار حيويته، وتجدده ونمائه ، وهو في الوقت نفسه قد اخرج فن المديح من دائرة التكسب كما كان الحال في الماضي - الى دائرة الوجدان الشعبي ، فلم تكن غايته ارضاء الممدوح لينال جائزته وعطاياه ، بقدر ماكان يعبر عن الوجدان الشعبي ، وينقل عواطف الرعيه تجاه الراعي ، في لحظة تاريخية خالدة ، التحمت فيها الامه دفاعاً عن الوحدة ، وامتزجت فيها المشاعر جميعها ابتهاجاً بالانتصار على قوى الردة الانفصال